الخاتمة

لايمكن لأحد أن يكون مغاليا حين يتحدث عن عظم النزعة الروحية الأفلاطونيه وتأثيرها على التاريخ العالمى ولقد عاشت الفلسفة الأفلاطونيه بعد أفلاطون فى الأكاديميه من غير شك رغم مالحق بها من تغييرات كبيرة من حيث الشكل ومن حيث بعض المسائل الجوهرية وعاشت كذلك من خلال فلسفة آرسطو والمدرسة المشائيه ، إلا أن اتجاه أفلاطون الثنائى الذى أعطى فلسفته قوتها وتأثيرها على العقول والذى فصل بين العقل والمادة وبين النفس والجسم، والإله والعالم قد أعطاها مركز الأولوية ، وهو بهذا الإتجاه قد وضع الحجر الأساسى لجميع الفلسفات الروحية والدينيه بعد ذلك.

نعم إن أفلاطون جعل من هذه الثنائية التصوفية التى استعارها من حلقات الأورفية المقفله ومن التجمعات الفيثاغورية المغلقة على أعضائها ، جعل منها المبدأ الرئيسى فى فلسفته ، ودفعها من مقام الإعتقاد الدينى إلى مقام النظرية العلميه ، ومن مستوى عقيدة بشأن مصير الإنسان إلى نظام فلسفى يحيط بالكون ككل.

ولقد كان هذا المبدأ الثنائى سبب حمل الفلسفة الأفلاطونية خارج جدران المدارس الفلسفية لتصبح موضوع حديث الرجل العادى ، أكثر مما كان سبب ذلك هو موضوع فلسفة أفلاطون العلمى . وأصبح من المحتم أن تحتل فلسفة أفلاطون مكاناً بارزاً فى كل مناقشة تالية لموضوع خلود النفس. كما أصبحت فلسفته أحد الأعمدة الكبرى لكل مذهب أراد أن يسموا من مرتبة المادة إلى مرتبة الروح. هذه هى النتيجة الإجمالية والشاملة لنزعة أفلاطون الروحية.

أما من جهة تفصيل هذه النزعة الأفلاطونيه فإنها لم تأت من بين يوم وليله ، ولم

تأت بمحض الصدفة ، وإنما أتت من خلال تضافر مجموعة من العوامل والظروف ، هيأت المناخ الملائم أمام عقلية أفلاطون الفذة والتى مالبثت أن تكونت من تلك الأحداث والعوامل ، ومزجت بينها بفكر أصيل، إطاراً روحياً يعتبر بحق صادقا عن بعد نظرة إنسانية واعية مدركة أن الحقيقة ولاشيئ سواها لاتوجد فى هذا العالم الفانى المخادع وإنما كامنة فيما وراءه.

ولما كان فى الإنسان جزء لايتجزأ من هذا العالم " عالم المثل" فإنه بلاشك يكون على وعى بالحقيقه إذا مااستعد لذلك استعدادا خاصاً ، وهذا الإستعداد هو أن يكون الإنسان على معرفة تامة بنفسه ، وهى الحكمة النابعة من المفهوم السقراطى " إعرف نفسك بنفسك" ، ذلك أن من عرف نفسه فقد عرف ربه ، وهذه العبارة بلاشك تمثل جوهر نزعة أفلاطون الروحية بصفة خاصة وتمثل ناموس الصوفية بصفة عامه.

وقد رأينا فيما سبق أن العوامل التى ساعدت على ظهور النزعة الروحية فى فلسفة أفلاطون قد تمثلت فى العوامل الإجتماعية والدينية والسياسيه، أما بالنسبة للعامل الإجتماعى والسياسى فلاشك أنهما شكلا عقلية أفلاطون منذ حداثه عهده ، ذلك أن الفيلسوف الحق هو ابن عصره وربيب زمانه ، فأفلاطون ابن جيل آخر غير جيل سقراط ، إنه ابن القرن الرابع قبل الميلاد الذى توالت فيه على أثينا الكوارث والمحن السياسية ، فأثينا المنتصره فى القرن الخامس ق.م. إندفعت فى سياسة التوسع الإستعمارى والمغامره إلى حد لم يؤد بها إلا إلى الحرب الأهلية مع سائر الكوارث الأخرى خاصة مع منافستها الخطيرة أسبرطه فإنتهى بها الأمر إلى كارثة الأسطول الأثينى فى موقعه " إيجوسبوتامى" ، لذلك فليس بغريب أن تسود الفلسفه الأفلاطونية روح أخرى غير روح سقراط - وهى روح جيل مزقته الأحداث وملأه التشاؤم حتى لم يعد له من بريق للأمل إلا فى عالم المثل المفارق الذى يعلو على كل تغير ويسمو على كل نقص باد فى الواقع. ولذلك رأينا أن

فلسفة أفلاطون فى مجموعها لاتحاول إصلاح الواقع نحو ماكان يحاول سقراط ، بل يرفض هذا الواقع من أساسه ويؤكد سيادة العالم الروحانى المثالى ويعلى من شأن الحدس والإلهام اللذين يبلغان بالنفس إلى الخلاص من هذا العالم المادى الفانى.

أما بالنسبة للعامل الدينى ، فإن أول شئ يلفت النظر فى نزعة أفلاطون الروحيه هو الأثر الشرقى الواضح ، فما من شك في أن تلك النزعة اشتقت بعض آرائها من الفلسفة الشرقيه وخاصة مصر حيث رحل إليها ودرس وتأثر بها ، فهذا " شيشرون" يذكر أنه زارها مما يدل على أن الرواية قديمه وكانت متداوله فى الأكاديميه بعد موت صاحبها بمائتى عام ، ويذكر "سترابون" أنه زار المنزل الذى كان يعيش فيه أفلاطون فى مصر ، وذلك بعد ثلاثمائة عام من موته ، ومما يؤكد هذه الروايات إهتمام أفلاطون بمصر بوجه خاص ، ومعرفته الشيئ الكثير عنها ووصفه لأمور تدل على الرؤية والمعانية مثل آثارها وفنونها ونظم التعليم السائدة فيها والعلوم التى اشتهرت بها وخاصة الرياضة". مكث أفلاطون زمناً طويلا فى هليوبوليس قاعدة الديانة المصرية والحكمة المدخرة عند الكهنة وكانت تقع على مقربة من منفيس المعروفه اليوم بعين شمس ، حيث كان يوجد معبد الشمس العظيم وحيث كان يسكن الكهنه . وفى ذلك المكان الهادئ أرشد " سترابون" إلى البيت الذى كان يسكن فيه أفلاطون ، ولقد تأثر تأثرا عميقا بتلك الحضارة حتى ليحكى على لسان أحد الكهنه فى محاورة "طيماوس" قائلا لصولون : " أيها الإغريق إنما أنتم أطفال ". وأعجب أفلاطون باتصال التقاليد المستمرة على مر الزمان ألافاً من السنين وبالنظم الدينية الثابتة التى كانت تحكم الحياة العقلية وثبات الأساليب فى الموسيقى والفنون ، وكانت على الجملة نظماً ثابتة لاتتغير كتلك المثل التى نادى بها فيما بعد ، وأعجب كذلك بتوارث الحرف وسمو الإداره الحكومية والتخصص الواضح فى المهن ، وتقسيم العمل الذى كان يختلف عن المألوف فى أثينا من اشتغال المرء بكل شئ ، وراقه كذلك نظام

التعليم الإجبارى وهو يذكر فى " القوانين ٨١٨ب" أن جميع المواطنين يجب أن يتعلموا الرياضة أى الحساب والهندسه والفلك وهذا التعليم الإجبارى ممكن مادام المصريون قد نجحوا فى تعلميها للصبيان فى المدارس. ولهم فى ذلك طريقة عملية كانوا ينهجونها فى تعليم الكسور والقسمه ، وليس ببعيد أن يكون أفلاطون قد تعلم اللغة المصرية القديمه ليطلع على هذه الأمور. أو أن بعض الكهنه كان يعرف اللغة الإغريقية فعرف منه مايريد الإطلاع عليه . ومهما يكن من شئ فهو يتحدث عن الآلهه حديث الخبير فيصف الإله توت وإيزيس وغيرهما من الآلهة.[١]

وليس من شك بعد هذا أن ماقاله أفلاطون عن خلود النفس واليوم الآخر وعالم المثل والخير إنما يرجع فى أصله إلى الديانة المصرية القديمه. فتلك الآراء الأفلاطونيه قد تعدت حدود العقلية الإغريقية وانفتحت على الروحانية الشرقيه.

وربما يعتبر هذا سر جمالها وقوتها التى أضفت عليها بحيث أنها شاعت وانتشرت وبقيت لنا محفوظة حتى هذا الوقت ، فنظرية الخير الأسمى وخلود النفس قد أضافا إلى تلك الفلسفة الميتافيزيقية والروحية القويه ، إنهما النظريتان القريبتان بالفعل من الفلسفة الشرقيه البعيدتان عن العقلية اليونانيه.

فمما هو معروف ومسلم به أن الحضارة المصرية القديمه قد قامت على دعامتين هما " عبادة الشمس" الخير " خلود النفس" البعث واليوم الآخر، واعتبرت الشمس عند المصريين رمز الخير وعنوان الألوهيه وكانوا يعبدونها ويقدسونها لما فيها من مظاهر الخير فى هذه الحياه ، فلا غرابة أن يقول أفلاطون عن الخير أنه شمس المثل أو شمس العالم المعقول.

ومايقال عن الشمس وعالم الخير يقال عن عقيدة البعث فلقد آمن المصريون القدماء

١- د. أحمد فؤاد الأهوانى : أفلاطون ، المرجع السابق ، ص١٦-١٧

بذلك اليوم وإستعدوا له. وتجلى ذلك فى الآثار التى تركوها والأهرام التى شيدوها من أجل هذه العقيده.

ولاشك فى أن أفلاطون درس تلك الحضارة وقدرها ، فلايشك عاقل بعد ذلك فى أنه تأثر بها.[١]

وإذا كان أفلاطون قد تأثر بالديانة المصرية القديمة وذلك من خلال سفره إلى مصر ، فإن مايزيد هذا الأمر تأكيدا ، هو قول " هنرى توماس" إنه على أرض مصر عاش أوائل الحكماء العظام فى التاريخ ، وإنه يمكن أن نعتبر هذا القطر القديم معلم الإنسانيه الأول ، وإلى مصر نزح الكثير من فلاسفة العالم القديم يستلهمون الوحى ويسعون وراء التدريب فقد كان يضرب بحكمة المصريين المثل بين اليونانيين القدماء ، حتى إن أفلاطون - أعظم فلاسفة اليونان - إعترف بفضل المصريين عليه كرواد وأساتذه له فى كل ماهو سام من عمل أو فكر". وفى موضع آخر يقول " هنرى توماس" أنه يمكن إرجاع أصل كل التفكير الحديث إلى حكمة المصريين ، وذلك عن طريق أفلاطون والفلاسفة اليونانيين الآخرين ، فقد أخذ اليونانيين فلسفتهم من الشرق ، ونحن -يقصد الغربيين- بدورنا أخذنا فلسفتنا عن اليونانيين.[٢]

ويرى (ول ديورانت) : " أن الغربيين الذين يزعمون خطأ أن ثقافة اليونان كانت المعين الوحيد الذى نهل منه العقل الحديث ، ستتولاهم الدهشة إذا ماعرفوا إلى أى حد تدين علوم الغرب وآدابه وفلسفاته لتراث مصر وبلاد الشرق".[٣]

ويرى (جورج سارتون) أن نور العلم قد إنبثق من الشرق ، ومامن شك فى أن معارفنا العلميه - نحن الغربيين- مهما يكن أمرها فإنها ترتد أصلا إلى الشرق ، وإذا

١- د. نازلى إسماعيل حسين : تاريخ الفلسفة عند اليونان ، مكتبه سعيد رأفت ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص١٦٧ ومابعدها.

٢- هنرى توماس : أعلام الفلسفه ، ترجمة مترى أمين ، دارالنهضة العربيه ، ١٩٦٤ ، ص٣ . ٤.

٣- ول ديورانت : قصة الحضاره ، المجلد الأول جـ١ ،المرجع السابق ص٤١.

كنا لانستطيع أن نقول الكثير بصورة محددة عن الأصول الصينية والهندية التى صدر عنها علم الغرب ، فإننا على العكس نستطيع بيقين وتحديد دقيق أن ننحدر بأصوله إلى تراث مابين النهرين ومصر".[1]

وعلى آية حال فإنه إذا كان أفلاطون قد تأثر بالديانة المصرية القديمه بطريق مباشر مما انعكس ذلك على فكره الدينى بصفة عامة ونزعته الروحيه بصفة خاصه، فإنه كذلك قد تأثر بها " أى الديانه المصريه"، بطريق غير مباشر وذلك عن طريق الديانة السرية الأورفية والمدرسة الفيثاغوريه. فعن طريق الثانيه أخذعن الأولى ، إذ أن أفلاطون قد لبس مسوح النحله الأوروفيه من تمييزها النفس عن البدن كما أن النظرية الأورفية عن النفس كانت بمثابة الأساس المباشر لفكرة ألوهية النفس أو العقل عند أفلاطون.[2]

وإلى جانب المبادئ الأورفية كانت المبادئ الفيثاغورية التى نهل منها أفلاطون والتى تمثلت فى فكرتهم الرئيسية عن التطهر والتناسخ وتلك الفكرة التى استخدمها أفلاطون فى حديثه عن مصير النفوس بعد الموت.

وإلى جانب ذلك فقد أخذ أفلاطون عنهم بعض المبادئ الصوفية المتصلة بالزهد والعبادة بالإضافة لمبادئهم الرياضية والتى كان لها أثرها الواضح فى نظرية المثل عنده ، ولما كانت هذه المدرسة مدرسة أخلاقية فى المقام الأول فقد كان من الضرورى لها أن ترتطم ببعض الأفكار الأساسية التى لايمكن أن تقوم حياة عقلية أخلاقية بدون مناقشتها مثل مشكلة الواحدية ومصير الروح الإنسانية. ولما لم تكن لديها الأسس الأولى فى الفلسفات اليونانية القديمة. فقد إتجهت إلى الحضارات الشرقية تمتص منها بعض أفكارها ومبادئها لذلك فإن الفيثاغوريه تعتبر هى النافذة التى تسلل منها ضوء الإشراق الأخلاقى فى الشرق إلى رحاب نزعة أفلاطون الروحيه ، ولكنها لم تستمر على هذا الإشراق الروحى لأنها انتهت بنزعة رياضية بحته.

١- جورج سارتون : تاريخ العلم ، المجلد الأول جـ١ ، المرجع السابق ص٢١.

٢- د. محمد فتحى عبد الله : النحله الأورفيه أصولها وآثارها فى العالم اليونانى ، ١٩٩٠م ، ص٣٠.

هذا هو الأثر الشرقى فى نزعة أفلاطون الروحية ، أما عن الأثر اليونانى فى نزعته فقد بات واضحاً لنا أهمية تعاليم هيرقليطس وبارمنيدس بالنسبة لأفلاطون ، فعن الأول أخذ أفلاطون شكه فى قيمة العالم المحسوس من أن يكون مصدراً للمعرفة الحقه. وعن الثانى اهتدى أفلاطون إلى وجود تلك المعرفة فى عالم المثل ، وعن الأصول الشرقية السابقة الذكر ، واليونانية كون أفلاطون ثنائيته الميتافيزيقيه والتى قامت على التفرقة الحاسمة بين عالمين ، عالم المحسوس وعالم المعقول " عالم المثل" ، وعن الزاهد الفقير "سقراط" إستلهم الإرستقراطى الثرى " أفلاطون" أسمى معانى الفضائل فى ميدان الأخلاق. وأرقى أنواع الجدل فى ميدان المعرفه ، فكانت نقطة الإنطلاق عند أفلاطون لسبر أغوار النفس الإنسانية بحيث أصبحت عنده حجر الأساس التى قامت عليه نزعته الأخلاقيه.

ولاشك بعد ذلك فى أن الباحث فى فلسفة أفلاطون لايحتاج إلى آية أدلة كى يثبت أن نظرية المثل هى لب مذهبه. ومن هنا فإن أى نقد لهذه النظريه هو نقد لمذهب أفلاطون كله ، ومن هنا كان معظم النقد الموجه لأفلاطون منصباً على نظرية المثل.

وكثير من الباحثين فى فلسفة أفلاطون يؤكدون على فشله فى الربط بين المثل وبين نسخها بين عالم المعقول وعالم المحسوس حيث أنه لم يقدم برهاناً واحداً يوضح فيه القيمة الحقيقية للمثل أو السبب الذى من أجله يمكن القول أن المثل هى الحقائق المطلقه والعلل الأولى. ولعل هذا الرأى راجع إلى أن هؤلاء الباحثين يرون فى المثل أفكاراً جاهزةً فى فلسفة ثم الوصول إليها بالفعل ، على حين أن نظرية المثل قد تطورت شيئا فشيئاً لدى أفلاطون ، وهى كذلك نابعة من هذا العالم المحسوس ، وعلى هذا النحو يمكن القول بأن مثل أفلاطون هى فرض نظرى بدأ به فلسفته، وهو يوضح هذا فى أكثر من موضع فى محاوراته ومنها على سبيل المثال محاورة " فيدون" ومن هنا فإن فرض أفلاطون هو مسلمة

أو مصادرة يضعها أفلاطون غير قابلة للفحص أو التفسير.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن أفلاطون عندما يقدم السبب وراء كون المثل هى الحقائق المطلقه فإنه لايبدأ من المثل ولكنه يبدأ من عالم الحس بجزيئاته الماديه ، فنحن نكتشف أن هناك مثالاً للبياض من خلال تطلعنا وتعرفنا على الأشياء الجزئيه المحسوسة التى تحمل هذا المثال ، ونحن نتعرف على مثال الجمال من خلال رؤيتنا لجملة الأشياء الجميلة فى هذا العالم.

وعلى هذا النحو فإن تفسير أفلاطون للمثل لايبدأ من عالم المثل ذاته ، ولكنه يبدأ من عالم الحس ، وذلك من خلال منهجه المعرفى الذى يسمى " الجدل الصاعد" ثم العوده من خلال عملية " الجدل الهابط" وفيه يتأكد لأفلاطون الحقيقة الموضوعية وراء وجود الأشياء الحسية الجزئية بدرجاتها المتفاوته وإلى هذا الحد يظل أفلاطون يقصر حديثه عن قيمة المثل من الوجهة المعرفية ، وفى هذه الحالة يصبح مثال " الخير" الذى هو قمة العالم العقلى " عالم المثل" أو المطلق الذى يمكن تفسيره باعتباره التعبير الموضوعى عن مفهوم الألوهية هو مصدر تكشف المعرفة والنور الذى يكشف تحجب الأشياء وحقائقها.

أما حين نتعرض لنفس هذه النظرية من الناحية الأنطولوجية بوصف هذه المثل عللاً للوجود فإن إخفاق أفلاطون يصبح أكثر وضوحاً ، إذ لايجد أفلاطون الشكل المناسب لعملية الربط الوجودى بين ماهو عقلى " المثل" وماهو مادى " النسخ" ومن هنا تصبح نظرية المشاركة مجرد تعبيرات صوفية شاعرية لاتعبر عن أى معنى عقلى فى هذا الإطار، وأفلاطون نفسه يدرك هذا فيأتى بفكره "الصانع" لتسد له هذا القصور الواضح ، وفكرة الصانع هذه لايمكن لها أن تكون تعبيراً عن " مثال الخير" ، لأن مثال الخير فى فلسفة أفلاطون هو كمال الكمال ، والمطلق النهائى غير المشروط بغيره ، وهذا المطلق ليس بحاجة لهذا العالم أو لصنعه. كما أنه ليس هناك من الصفات المنسوبة لهذا المطلق مايعطيه قدرة

الصنع والإبداع ، فمثل أفلاطون وعلى قمتها " مثال الخير" من ناحية كونها عللاً للوجود مجرد وقائع فرضها أفلاطون فرضاً ، ليس لديها القدرة على تفسير وجود الأشياء المادية فى العالم المحسوس . ذلك العالم الذى بدأ أفلاطون فلسفته ولدية قناعة سابقة بأنه مجرد عالم من الأشباح والنسخ والأوهام منسوخة على غرار عالم عقلى أعلى هو " عالم المثل" وانتهى إلى كونه عالم حقيقى منظم صنع على غرار النموذج الحى الذى يحوى بداخله كل المثل ، وإن كان هذا العالم الحسى يحوى بعض القصور نتيجة إحتوائه على الماده.ولما كان " الصانع" المبدع هو الذى صنعه وأبدعه فمن الصعب القول بأن " الإله الصانع" يخلق أشياء لاتليق بقدرته وإبداعه ، وهنا يأتى السؤال التالى : ماهى مدى حاجتنا إلى الله ؟ وما هى وظيفته عند أفلاطون؟

سبق وأن أوضحنا أن أفلاطون قد عرف الفلسفه بأنها محاولة التشبه بالله بقدر الطاقة الإنسانية وإذا كان من الواجب على الفيلسوف أن يبصر الحق ويبلغ المثل ويتأملها ويحيا حياة نظرية فإنه يجب عليه أن يعمل وأن يكون سلوكه فاضلاً مطابقا للعدل والخير وذلك بالتشبه بالإله الذى هو عدل خالص ، وإذا أردنا الوصول إلى الفضيلة بالذات كفاية للنفس الصالحه حيث إن النفس عند أفلاطون هى محور الصلاح ، أى صلاح الإنسان من جميع نواحيها وصلاح المدينة ، كل هذا لايمكن تحقيقه إلا إذا عرفنا بأن الفضيلة بالذات شئ يختص بموجود أسمى من البشر وهذا الموجود هو الإله.

فإذا كنا نطلب الفضيلة ونسعى إلى الخير والعدل فعلينا أن نطرق السبيل المؤدى إلى المعرفة بالإله وحقيقته، كى نتشبه به ، ذلك لأن مرتبتنا فى الوجود أقل من مرتبته بالطبع فهناك مراتب للموجودات نجدها عند أفلاطون وللأعمال الإنسانية ، فالرواية ترجمان الشاعر والشاعر ترجمان الإله ، والفن محاكة المحكاه ، والكائنات الطبيعية محاكاة للمثل. والعمل الصالح والسلوك الفاضل عند الإنسان شبيه بالإله. فالصانع